الجزء الثاني عشر — السنة التاسعة
{ الاسكندرية في ٣١ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦ }
{ الموافق ١٥ ذي القعده سنة ١٣٢٤ }

الحر والبرد

مما ورد لاحد الشعراء قوله

يطلب الانسان في الصيف الشتا فاذا جاء الشتا انكرهُ
ليس يرضى المرء حالا واحداً قتل الانسان ما اكفرهُ

وحقاً لقد صدق هذا القائل فان الانسان غريب في اخلاقه ومطالبه حتى لا يعلم منه على اية حالة يريد ان يستقر وليس ذلك من جهة الحر والبرد والغنى والفقر والبعد والقرب بل من جهة كل احواله وكل مايباشره ويتعلق به فتراه كلما ظفر بشيء كان يتمناه ملَّ منه وطاب سواه حتى اذا ناله ملَّ منه ايضاً والتمس غيره ولعل هذا بعينه هو لذة البقاء وحلاوة التمني ولولاهما لكان الانسان حيواناً او ادنى من الحيوان الى حد الجماد والى ذلك يشير الشيخ ناصيف اليازجي بقوله

لا تنتهي همم الفتى فاذا انتهى وطرٌ تجدد غيره في الخاطر

والى حلاوة التمني يشير ابو الحسن التهامي بقوله

اهتز عند تمني وصلها طرباً وربَّ امنية احلى من الظفر

والى هذا ايضاً يشير الشيخ خليل اليازجي بقوله

ما كان احلى المنى لو ان لذتها بعد الحصول تساوي لذة الامل

لكن للدهر بخلا بالمنى ابداً فان ينلها يدم معها على البخل

هذا وللشعراء ولسواهم اقوال كثيرة تدل على تقلب الانسان في امياله واضطرابه في اختياره وحيرته في انتخابه حتى لا يهتدي في حياته الى سبيل الى ان يدركه الموت فيكون هو خير سبيل

الا ان الاختيار مابين الحر والبرد مما قد يفضي البحث فيه الى معرفة الافضل فان كثيرين حين يأتي الشتاء يتضايقون منه ويتململون ويتمنون لو يكون الصيف مكانه حتى اذا جاء الصيف او رحلوا هم الى بلاد يكون فيها صيف تضايقوا منه دون ان يتمنوا الشتاء او يرجعوا الى حيث كان منتشراً ومنهم من يكونون على العكس ومنهم من يصدق فيهم البيتان الاولان اذ يكونون على كل حالة متضايقين ولعل هؤلاء يكونون من ارباب الامزجة التي تتأثر من الافراط على اية حالة

الا ان مقدار احتمال الانسان لافراط الحالتين بين حر وبرد مما قد يدل على ايهما افضل وان كان الدليل ضعيفاً بدليل وجود ملايين يعيشون تحت درجة الصفر وملايين مثلهم يعيشون فوق درجته بعشرات وكلهم متحملون ولا يتمنون الانتقال من حال الى حال ولكن الباحثين يقولون ان افراط الحر اشد ايذاء من افراط البرد وان الذي يتمنى الشتاء يكون اقرب

الى الصواب من الذي يتمنى الصيف ودليلهم على ذلك ان الحر المفرط يتعذر الهرب منه او التبرد في اثنائه بخلاف البرد المفرط فان الوقاية منه اقرب تناولا واسهل سبيلا فضلا من انه اذا اعتبر وقع الاذى والمضايقة واحداً في الحالين فان الحر يكون ممتازاً بما يصاحبه من شتى الامراض التي تفضي الى زيادة الضيق حتى الموت على حين امراض البرد قليلة لضعف معيشة الجراثيم المرضية فيه وعدا هذا ايضاً فان الحر اذا لم يضايق الى الحد المبرح فانه يقتل من حيث مصاحبة المرض واذا لم يقتل فانه يصيب بالجنون ولذلك ترى الوفاً يجنون ايام اشتداد الحر فيلقون بانفسهم من الشواهق لجنونهم الوقتي منه حتى ان الخيل نفسها قد شوهدت تنتحر وتلقي بانفسها في الانهار تخلصاً من وقع الحر عليها على حين لم يروَ عن حيوان قط بين ناطق واعجم انه انتحر ليتخلص من فرط البرد او ان فرط البرد قد سبب له جنوناً دعاه الى الانتحار وعلى هذا فانه قد يصح القول بان الذي يتمنى شدة الحر معادلة لشدة البرد الذي هو فيه لا يكون مصيباً مقدار اصابة من يتمنى لشدة البرد معادلة شدة الحر الذي هو فيه لان هذه الشدة تقتل واما تلك فلا مع اعتبار المضايقة في كلتيهما واحدة

ثم انه مما يدل على افضلية البرد على الحر ولو ان البرد دخيل والحر اصيل ان سكان البلاد الباردة اوفر عدداً من سكان البلاد الحارة بكل الدرجات كما ان رزقهم اوسع وارضهم اخصب وعقولهم اتم وابدانهم اصح وهواؤهم اجود وامراضهم اقل بل ان البرد مع كونه دخيلا اذ اصل الوجود حرارة قد جعل نفسه اصيلا وازرى بالحر واولاده ولذلك ترى ابن البلاد الباردة حراً ناماً وطليقاً من كل وجه وترى ابن البلاد الحارة

عبداً رقيقاً قبيح الوجه ضعيف العقل سيء الخلق مشوّه السحنة والتركيب ذليلا مهاناً مطروداً يأكل بعضه بعضا وقد احتقره ابن البرد فهو لا يؤاكله ولا يصاهره ولا يسمح له بحق من حقوقه بل يعتبره بعيداً عن الانسانية قريباً من الهمجية وكل هذا انما جاء من تأثير البرد المفرط الذي احدث القوة والنشاط والذكاء ومن تأثير الحر المفرط الذي احدث الخور والجبن وضعف الصحة والبلادة والبله والفدامة والعي والحصر مما اوجب كله الذل والاستكانة والرضى بالحياة على اية حالة تتفق

فاذا كان الانسان كافراً لانه لا يرضى بحالة فذلك كفر موقت صادر عن غير روية ولا تبصر ولكن الانسان العاقل حين يتبصر في كل شؤون حياته وعواقب الحر والبرد عليه فانه يختار البرد مهما افرط على الحر ولو قل افراطه وكفى بما تقدم من صحة العقل والجسم دليلا على صحة ما نقول

﴿ بيان حقيقة ﴾

عربنا في الجزء الماضي ما اتسع له المقام من تاريخ البرنس فيزنيوسكي والان نتم تعريب تاريخه كله باختصار زيادة في البيان

فمما يذكر من حسن مساعيه انه لما نكبت فرنسا في حربها مع المانيا سنة ١٨٧٠ اصاب الفلاحين الفرنسويين ضيق شديد فما كان من هذا الامير الا انه ارسل كتاباً الى صديقه الملك اوسكار يطلب منه شيئاً من الاعانة لهم فورد منه مبلغ مئتي الف فرنك وزعت عليهم مع الذي وزع في ذاك العهد